

فن النثر لدى الكاتب الشيخ أبي بكر غنيمي البرناوي: كتاب الآداب والأخلاق الكريمة أنموذجا

بإعداد:

الدكتور محمد الحاج ميدغو

محاضر بقسم الدراسات العربية بجامعة ولاية يوبي، دما ترو

الملخص:

إن النثر من الفنون التي اهتم بها العلماء في منطقة برنو فاتخذوها سبيلاً للبيان عن الشؤون الدينية، والفكرية معاً فألفوا عدداً كبيراً من الكتب في مختلف الفنون المعرفية قديماً وحديثاً. ومن بين هؤلاء العلماء الأجلاء الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي. صاحب مؤلفات عديدة، من أبرزها هذا الكتاب المعنون بـ "الآداب والأخلاق الكريمة"، وهو كتاب أُلّفه في تربية الصبيان على المنهج الإسلامي الخالص. وأما سبب دراسة هذا الكتاب فيعود إلى ملاحظة الباحث اهتمام الباحثين والباحثات في الدراسات الأدبية بالشعر دون النثر. ومن أهمية هذه الدراسة الوقوف على ما في الكتاب من القيم الفكرية والأسلوبية معاً. الكلمات المفتاحية: فن، النثر، الشيخ، غنيمي، الآداب، الأخلاق، الكريمة

Abstract

Mainly Arabic Literature consist of two major types- Poetry and Prose. Ulama of Borno have attached great emphasis on Prose writing Hence, they used it to disseminate religious knowledge as well as Arabic culture and civilization. One of such scholars is Sheikh Abubakar Gonimi Albarnawy who has published a lot of books, prominent among which is his work entitled: (Al'aadab Wal'akhlaq Alkareema). This work holds within its folds Islamic way of training children so that they will become better citizens of the society. Descriptive analysis was used to study the book whereby the artistic features were studied and analyzed.

المقدمة:

فإن القارئ لما يحويه كتاب الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي المعنون: " الآداب والأخلاق الكريمة"، لتبين له ظاهرة ليست بخافية، وميزة غير متوارية، اصطبغت بها هذا المؤلف، ولا يغفل عنها كل من قرأ الكتاب قراءة عميقة، تلك هي ظاهرة الاستشهاد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والشعر العربي، والأمثال. الهدف وراء كل ذلك هو تقريب المراد إلى العقول، وتثبيت المعاني في النفوس، ورفع الغشاوة عن الحقائق، وطرح ما يغفلها الناس من أوهام وظنون. عندما يتتبع القارئ الأشعار والأمثال التي استشهد بها المؤلف في كتابه هذا سيدرك قيمة هذا اللون من البديع، وارتقائه مراتب الفصاحة المعهودة عند العرب. ففي الأمثال مثلاً فقد عهدت عند العرب شروط وضعوها للمثل الفصيح، وحدودها في إيجاز اللفظ والمعنى. القارئ لهذا الكتاب سيشهد ذلك أثناء مطالعته.

النثر العربي وأنواعه في منطقة برنو عبر الفترات التاريخية:

وأما من ناحية النثر، فقد أنتج العلماء البرناويين كتباً، ورسائل عديدة، تميزت ببلاغة فائقة، وعمق فكري أصيل منذ العصور الغابرة، فعبروا عن أفكارهم، ووجهات نظرهم عن الشؤون الثقافية، والاجتماعية، والحضارية، والسياسية، والفكرية، والفنية. وقد كانت منطقة كانم – برنو تمثل جسراً طبيعياً، للتواصل بين أبناء الأمتين – العربية، والإفريقية - حيث تحتل موقعا جغرافيا متميزا بين الدول العربية بمفهومها السياسي، وبين الدول الإفريقية غير العربية. ولقد اتخذ شعب هذه المنطقة اللغة العربية لغة للأدب، والإبداع، والدين، فكان وجود الأدب العربي البرناوي في حد ذاته - بغض النظر - عن مضمونه مظهراً للتواصل العربي الإفريقي.

فقد انكب علماء برنو قديما، وحديثا – ومن بينهم مشايخها – على تأليف الكتب الدينية، وكتابة الرسائل التي تعالج المسائل الدينية، والاجتماعية، والسياسية وشرعوا كذلك "...يسجلون تاريخهم، وانتصاراتهم الحربية، ويذكرون أسباب قيامهم بالجهاد، ويردون على منكريهم، ويصفون في بعض المؤلفات نظامهم السياسي، والإداري المستنبطة من القرآن، والأحاديث، وأمهاات الكتب...". وكان الهدف الرئيس وراء المؤلفات النثرية البرناوية هو نشر الدين الإسلامي وتعاليمه، واصلاح المجتمع، وعلاج الأمراض الاجتماعية السائدة، بغية بناء مجتمع إسلامي خالص.

ويعتبر النثر من أهم أنواع الأدب العربي لدى العلماء، والأدباء البرناويين بعد الشعر والمنظومات. وإن المصادر التاريخية، والأعمال الأدبية التي لم تقضى عليها يد الدهر، تدل دلالة واضحة على المهارة الفنية القيمة، والأسلوب البياني الراقى في التعبير، والمقدرة الفائقة على التصوير، التي يتحلى بها العلماء البرناويون حيث طوروها في أعمالهم الأدبية.

المحارم:

"وهو المرسوم السلطاني الذي يصدره الملوك لصالح من يرضون عنهم من العلماء والأقربين والمخلصين من الموظفين، وقد اشتهر ملوك كانم - برنو بإصدار هذه المراسيم... وقد ترجم المستشرق (بالمُر) عشرين منها في كتابه - مذكرات عن السودان-^٤. والمحارم شائعة أيضا في مملكتي بَاقِرْمِي، ووَادِي. رغم أنه لم يعثر الباحثين، والدارسين على أدلة تشير إلى تأثير (المَآيَات) المَعُومِيين، ونقلهم المحارم وأسلوبه من الأقطار الإسلامية الأخرى من بلاد العرب. "...فإن أسلوب كتابته الذي يتميز بالإفتتاح بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى، والصلاة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم الثناء على الملك الذي يصدر المحارم مع ذكر مناصبه ومناقبه الحميدة، مردفا بنصوص من القرآن والحديث وغيرها من أسلوب الكتابة الإسلامية كلها تدل دلالة واضحة على تأثرهم وتأثيرهم بالكتابة العربية الأصيلة التي توارثوها من الأدب العربي القديم. ولقيمتها التاريخية اهتم به المؤرخون اهتماما كبيرا".

المراسلات:

كما سبق الحديث عنها، كانت العربية لغةً للاتصال والتفاهم، والتبادل الثقافي، والحضاري، فضلا عن كونها لغة رسمية للملكة، وقد استخدمتها (مَآيَاتُ) برنو في مراسلاتهم مع حكامهم، وأمراءهم، ووزرائهم ورؤساء الدول الإسلامية المحيطة بهم. بالرغم أنه لم يصل إلى أيدي الباحثين إلا القليل منها، فإنها على الأقل تبين القيمة الأدبية الفائقة، فالاساليب الفنية الراقية التي يتمتع بها علماء كانم - برنو منذ العصور القديمة. وأما أشهر ما وصلت إلى أيدي الباحثين هي: الرسالة التي أرسلها السلطان عثمان بن إدريس في القرن الرابع عشر الميلادي إلى "بَرْقُوق"، حاكم مصر

عن بعض الحوادث الاجرامية التي وقعت على الحدود، بين الدولتين من قبل بعض قطاع الطرق الذين اعتدوا على بعض القوافل،

وفي القرن التاسع عشر الميلادي استخدمت الرسائل كأسلحة سياسية من قبل مشايخ برنو. ويظهر ذلك جليا في المراسلات المتواصلة بين الشيخ محمد الأمين الكانبي - شيخ برنو - والسلطان محمد بلو - سلطان صكتو، وأمير المؤمنين بأمر الشيخ عثمان بن فودي. وقد سجّل الشيخ محمد بلو بعض هذه الرسائل في كتابه الشهير^١ حيث دافع الكانبي في رسائله عن الشعب البرناوي، معارضا هجوم المجاهدين الفلاتة على مناطق برنو. إضافة إلى هذه المراسلات مع نبلاء الفلاتة، لقد كتب الكانبي عدداً من الرسائل، إلى العلماء، والأصدقاء، والإخوة، والأخوات وغيرهم من جيرانه وأصحابه^٢.

الوثائق التاريخية:

تحتل الوثائق التاريخية موقفا هاما في الأدب العربي لدى شعب كانم - برنو. ولعل أقدم ما كتب في هذا المجال هما - ديوان سلاطين برنو و(غِرْغَم)٣ بينما كان الديوان سجل تاريخي مفصل عن الملوك السيفية المغومية المكتوب باللغة العربية، كان الأخير سجل مختصر عن أخبار السيفيين المكتوب بلغة الكانمبو مستخدما الحروف العربية (العجمية). وزعم بعض المؤرخين أن كتابة هذه السجلات عملية متواصلة قام بها العلماء أو المسجلون في المحاكم حيث سجلوا الوقائع الرئيسية في عهد ملك من الملوك كمعلومات هامة لمن يرث العرش من بعده. فإن دل هذا على شيء إنما يدل على أن هذه السجلات والوثائق كانت متداولة منذ القرن الحادي عشر الميلادي عندما اتخذ المغوميين الإسلام كدين رسمي للدولة، كما أنه يثبت ما ذهب إليه المؤرخون أن الأدب العربي نشأ وترعرع بقدم الإسلام إلى منطقة كانم - برنو.

وبمرور الأيام قد تواصل تدوين الوثائق التاريخية والسجلات وتطور تطورا كبيرا وصار كوظيفة لعلماء المنطقة. ويتمثل ذلك بمؤلفات الإمام أحمد بن (فُرْتُو) الإمام الكبير وكاتب ديوان البلاط الملكي في عهد السلطان إدريس بن علي

ألوّماً (١٥٧٠-١٦٠٣ م). فقد أدلى بدلائه في هذا المجال وألف مؤلفان شهيران بعنوان كتاب - غزوات السلطان إدريس في كانم، وكتاب غزوات السلطان إدريس في برنو. فقد خصص الكتاين لتدوين، ووصف الغزوات التي قادها السلطان في كانم - برنو. إضافة إلى براعته في اللغة العربية، يعرض الكتاب ما يتمتع به العالم من عمق المعرفة في الأدب العربي القديم، وتبحره في علوم القرآن، والحديث النبوي الشريف. لكونهما مصدرين أساسيين لتاريخ كانم - برنو، ولاسيما في القرن السادس، والسابع عشر الميلادي فقد جذبا أنظار المؤرخين، والمستعمرين الغربيين، فدرسوها، ونقلوها إلى اللغة الإنجليزية!

بالرغم أنه لم يسجل من تلك المؤلفات إلا القليل منها، يبدو أن كتابة الدواوين، وتسجيل الغزوات، والوقائع التاريخية، وما شاكلها مما قام به السلاطين، ظاهرة جلية، طورها العلماء، والأدباء في انتاجاتهم في منطقة كانم - برنو. لقد ذكر ابن (فُرتُو) في مقدمته لكتابه - غزوات السلطان إدريس في برنو - "...أنه أتى بكتابه هذا إذ أعجبتة ما جاء به (مُسَبَّحَرَمَه) عمر بن عثمان الذي قام بتدوين الغزوات التي قام بها السلطان إدريس بن علي المعروف - (بِكَتَغْرَمَبِي) - في أوائل القرن السادس عشر الميلادي".

وبجانب مؤلفات ابن فُرتُو فقد تم تسجيل عدد قليل من أعمال المؤرخين في القرون الذي يليه منها: أعمال محمد يَنبُو بن علي بن الحاج دُنومَه، والأمير ابن السلطان علي بن دُنومَه (١٧٥٩م) فمن أعماله التاريخية كتاب "البرنو"، الذي تناول في مضامينه تاريخ الملوك السيفيين المغوميين. و"تراتب إدارة مملكة تَبَع الأكبر" وهو كتاب وصف فيه الحالة السياسية للمملكة السيفية، مع الإشارة إلى المناصب الرئيسية السائدة عصرئذ، والمؤهلات الضرورية التي يجب أن ينالها الإنسان قبل أن يعين لهذه المناصب حسب مقاييس الشريعة الإسلامية.

ومن أمثال هذا النثر في العصر الكانبي "تحفة المرام في قصيدة الإمام" لمؤلفها الفقير إلى الله يوسف بن عبد القادر الغرغري البرناوي، والكتاب شرح أدبي، وبلاغي، ولغوي لقصيدة (نسيم الصبا)، الشهيرة للشيخ محمد الأمين الكانبي، يقول الشيخ "... (قوله) نسيم منادى بحذف حرف النداء، مضاف إلى الصبا ونسيم، الريح ما استلذ عند السحر

فطابت به النفوس. والنسيم الهبوب اللين، كذا ذكره صاحب ايضاح اللبس، والصبأ: ريح القبول، وهي الريح الشرقية من مطلع الشمس إلى بنات نعيش، وريح الشمال تهب من بنات نعيش إلى مغرب الشمس، والريح الدبور، تهب من مغرب الشمس إلى مطلع السهيل، والريح الجنوب تهب من مطلع السهيل إلى مطلع الشمس، وسميت الصبا قبولا لأن العرب يستقبلون بمجالهم مطلع الشمس والشمال شمالا لهبوبها من ناحية الشمال إذا استقبلوا المشرق بوجوههم. مضاف إليه إن أرادبه غير المرسل بالفتح أيضا وفي عجز البيت ملاحظة يقول النايفة:

أمن آل مية رائح أو مغتدى *** عجلان ذا زاد وغير مزوؤذ. ...

لهذه القطعة وغيرها في طول الكتاب وعرضه ظواهر عدة منها كثرة الاستشهاد والاقتباس من كتب العلماء المشهورين منهم من غير النيجيريين مثل الإمام شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف والسيوطي وغيرهما. ومن ناحية أخرى الاستشهاد بأشعار فحول الشعراء كالنايفة الذبياني، وزهير بن أبي سلى، والمتنبي وغيرهم مما يدل دلالة واضحة عن علم الكاتب ومطالعته الواسعة في فنون المعرفة. ولا ينسى الباحث ظاهرة الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في كتابه هذا وكذلك تحليل المسائل اللغوية بطريقة نحوية حيناً وبلاغية حيناً آخر.

أما في القرن العشرين، والحادى والعشرين، فقد تطور النثر التعليمي تطورا كبيرا، وكثر العلماء الذين أدوا أدواراً في هذا المجال. وفي هذا العصر تحديداً، ثارت الخصومات، والجدل في المسائل العقديّة، بين العلماء في برنو، فألفوا الكتب في مختلف فنون المعرفة، منهم على سبيل المثال: الشيخ أبوبكر المسكين البرنوي. ومن أبرز مؤلفاته: "سكّين قاطع للوتين"، وهو نثر يحتوي على أربع وثلاثين صفحة، ومطبوع بطبعة تصويرية بمطبعة (يَنُ فُوسَا) كنو صفر ١٣٨٧ هـ. وكتبه رداً على رسالة كتبها عالم من علماء برنو يسكن في المملكة العربية السعودية، واسمه (غوني إنغزِمِه). فكتب هذه الرسالة إلى أهل برنو يندرهم، وينهاهم عن اتباع الشيخ إبراهيم إنياس وتعليماته، فردّ عليه الشيخ المسكين من خلال كتابه هذا وأبطل زعمه. وله كتاب يسمى - (الأدلة الصريحة في الرد على صاحب العقيدة الصحيحة ١٣٩٢هـ) وهو مخطوط يحتوي على خمس وخمسين ومئة صفحة، كتبه رداً على كتاب "العقيدة الصحيحة" للشيخ أبو بكر محمود غنيمي.

وقد ألف الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني مؤلفات تاريخية قيمة، يشار إليها بالبنان. فهو بمنزلة المرجع لطلاب العلم، بالإضافة إلى مؤلفاته الثرية في الفقه، والتوحيد، وعلم الفلك، والحديث، وعلوم القرآن وغيرها. فمن أشهر مؤلفاته التاريخية: تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم - برنو طبع بمطبعة الحلبي القاهرة ١٩٧٦م. والأبعاد التاريخية للإسلام في إفريقيا، والدعوة الإسلامية الطرح الجديد ١٩٩٢م. تناول فيها تاريخ الممالك الإسلامية الإفريقية، وفيما يلي نموذج من الكتاب:

"...وأما بالنسبة للجزء الشرقي للقارة، فقد تأخر انتشار الإسلام نسبياً، وذلك لإعتماد الإسلام في انتشاره على الحركة التلقائية، للقبائل العربية، وقوافل التجار، وتنقلات الدعاة من العباد، والنسك من الطائفة الصوفية. ومن المؤكد أن تحركات هؤلاء جميعاً، تتأثر بالموانع الطبيعية كالممرات المائية، أو المناطق الجبلية الوعرة، كما رأينا ذلك بالنسبة للحبشة التي تعتبر المكان الأول لجماعة المسلمين بدينهم الجديد، والمعروف أن ارتباط شرق إفريقيا بالمحيط الهندي أكثر من ارتباطه بواقع القارة الإفريقية...". فهذا الضرب من النثر وهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب ليس له قيمة أدبية فنية إلا ما يجري فيه أحيانا من أمثال وحكم وأسجاع وغاياته غالباً التعليم والدفاع عن الأفكار السياسية وما شابهها. ومن فنون النثر أيضاً فن الخطابة.

التعريف بالمؤلفات النثرية للشيخ أبو بكر غنيمي البرناوي:

وأما في المجال النثري، فقد ألف الشيخ بقلمه السيل عدداً من المؤلفات في العقيدة، والشريعة، والطب النبوي، وغيرها من الفنون المعرفية. فمن مؤلفاته في العقيدة:- كشف البلوي عن ضعفاء المسلمين - وهو كتاب صغير في الحجم، مليئ بمعلومات قيمة، يقع في ست صفحات، وتناول فيها مسائل التوحيد والعقيدة. وقد أشار إلى أن الأشعرية هي العقيدة الصحيحة، فأتى بأدلة نقلية، وعقلية تأييداً لرأيه، وقد ألفه عام سبعة عشر وأربع مئة وألف هجرية ولا يزال مخطوطاً. ومنها:- انقاذ الهالك في تفسير "على العرش استوي" - وهي رسالة تقع في ثمان صفحات. كتبها رداً على الشيخ جعفر محمود آدم رحمه الله عن قضية تفسير هذه الآية. ومنها:- ثلاث في ثلاث خروج من الملة - وهي رسالة في العقيدة، كتبها الشيخ رداً على خصومه الإزاليين. وأما في الشريعة، فقد ألف كتاباً سماه:- حصن الزوجين - وهو

عبارة عن كُتَيْبٍ غني بمعلومات قيمة، يقع في أربع صفحات، عالج فيه الكاتب حقوق الزوجين، وآداب المعاشرة، وألّفه عام تسعة عشر وأربع مئة وألف هجرية. كما ألّف كتاب - الآداب والأخلاق الكريمة- الذي هو موضوع هذا البحث وكتبه. وأما في الطب فقد كتب:- كان كافيا شافيا- وهو عبارة عن كتاب يقع في إثنان عشرة صفحة، تناول فيه الطب النبوي علاجا من الأمراض. وقد ألّفه يوم الخامس والعشرين من شهر المحرم عام إثنان عشر وأربع مئة وألف هجرية الموافق ١٥ - أغسطس- عام إحدى وتسعين وتسع مئة وألف ميلادية. وفي العروض قد ألّف مذكرة عن الدائرة العروضية الخليلية، وجعله جزءا من ديوانه الشهير: حدائق ذات بهجة.

كتاب الآداب والأخلاق الكريمة:

عبارة عن كتاب يقع في إثنان وسبعين (٧٢) صفحة، يحتوي على عشرين فائدة، تناول في كل فائدة الآداب والأخلاق الطيبة الإسلامية التي ينبغي أن يتحلى بها صبيان المسلمين "...لأن المرء يبلغ بأخلاقه الحسنه ما لا يبلغه القائم والصائم ومن لم يتعلمها في صغره لا يقدر أن يطبقها في كبره" ثم أورد فيها برسالتين وقصيدتين جميلتين. والكتاب مطبوع طبع للمرة الثالثة عام إحدى وعشرين وأربع مئة وألف هجرية، اذن للكل في التصوير والطبع بدون تبديل و تحريف. ففيما يلي دراسة تحليلية للكتاب:

أولاً: دراسة تحليلية لأهم أفكار الكتاب:

المقدمة:

وهي عبارة عن مدخل لمضمون الكتاب ولبه، إذ تناول فيها الحمد والثناء على المولى عزّ وجلّ، والصلاة والسلام على سيد البشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين، مبينا موضوع كتابه وكتبه على وهو الآداب والأخلاق الإسلامية الكريمة السمحة مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم: " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق..."، مع الإشارة إلى أن الكتاب هدية متواضعة من معهد النور للشيخ غنيمي إلى معاهد العالم الإسلامي. فقد ألّفه الشيخ لتعليم الصبيان تلك الأخلاق الكريمة التي تضمن لهم عيشة مرضية في الدنيا، وفوزا ونجاة في الآخرة، لأن التعليم في الصغر كالنقش على الجحر لا يزول مهما طال العمر. فإن لم يتعلم الصبيان هذه الأخلاق الكريمة يصعب لهم فهمها

والتحلى بها في كبرهم. تتحلى هذه المقدمة ببراعة الاستهلال وفتحة الكلام، إذ يتجلى فيها الموضوع الذي أراد الشيخ إيصاله للقراء. ومما زادتها رونقا وجمالا استخدام الأحاديث النبوية الشريفة، والأبيات الشعرية للتوضيح ومزيد من البيان. ومن هذا المنطلق انطلق إلى البيان عن هذه الآداب كما يلي:

أما الفائدة الأولى، فقد حث فيها الشيخ الأولاد على معرفة قواعد الإسلام الخمسة فهي أساس الإسلام ودعائمه، فهو أول شيء يجب أن يتعلمه الصبيان حفظا وتحقيقا، حتى يرسخ في أذهانهم، ويجري على ألسنتهم. ثم تبعها بقواعد الإيمان الستة وذكرها واحدا إثر آخر، فهي الثانية في الترتيب بعد معرفة قواعد الإسلام. وقد تحدث عن الإحسان مبينا تعريفه كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام مسلم مع الإشارة إلى أن مجموع هذه الثلاثة هي ما تسمى بالدين، والدين عند الله هو الإسلام. وحذرهم على ألا يموتوا إلا وهم مسلمون لأنه من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الهالكين. وقد اتبع الشيخ منهج التعاطف والسهولة في مقدمة هذه الفائدة واختتمها بالحذر والجذر والتأنيب، إذ ينبغي استخدام كلا المنهجين في تعليم الصبيان.

وأما الفائدة الثانية، تناول الشيخ أهمية تاديب الصبيان بآداب الإسلام مستهلا بالبيان عن عقوق الوالدين وسلبياته، فمن لم يبر والديه ويحترمهم كما شرع الله تبارك وتعالى فإنه سيكون من النادمين في الدنيا، فسيكون أبناؤه مصدر ندامته، فكل من أراد أن يفوز بالجنة وينجو من النار فعليه بربِّ الوالدين، فبرّوا بركم أبناؤكم، والجنة تحت أقدام الأمهات. ولكي يظهر أهمية ربِّ الوالدين أشار إلى أنه مهما عمل العاق من العبادات بمختلف أنواعه فلن يدخل الجنة ما دام أنه عاق لوالديه. ثم تناول مسألة إعطاء ذي القربى حقوقه، ومدِّ يد العون للمسكين، وابن السبيل، محذرا عن التيزير والسرف لأن المبرزين إخوان الشيطان وأعوانه، ولكن لا تيزير والسرف في الأعمال الخيرية مهما كثر، فحث على الصدقة والعطاء، والمداومة على فعل الخيرات روحيا ومعنويا. وتواصل بالبيان عن حب الآباء للأولاد، فبرى الشيخ أنه يجب أن يكون حب الآباء لأبنائهم حبا وسطا، مبني على الإرشاد، والتوجيه، والتقريب، لا أدبا يجعلهم ينفرون منهم، وتمنعهم الحرية، وليس حبا مسرفا. وقد أبطل عادة من عادات أفراد شعبه حيث يزعمون أنه إذا كان الإبن سعي والدهم أو الإبنة سمية والدتهم فإنهم يدللونهم ويفسدون تربيتهم إذ لا يحذرونهم إذا أساؤا التصرف، ولا يرشدونهم

مع كونهم صبيان في أمس الحاجة إلى الارشاد والتوجيه، فمن لم يربي أبناؤه تربية حسنة، فينقلب عليه الإبن أو الإبنة ويكون عاق له.

وأما الفائدة الثالثة، فقد تناول مسألة قول الحق، فهو أدب من آداب الإسلام الذي يجب أن يتعلمه صبيان المسلمون منذ صغرهم ويتبادر إلى أذهانهم، لأن الذي يسكت عن الحق شيطان أخرس، فيجب قول الحق ولو كان مرا، ولكن في المواضيع التي يرجى القبول والانتفاع، مستدلاً بقوله تعالى: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم...) ثم تحدث تناول مسألة الوعظ والارشاد والتوجيه مبيناً بأنه يجب على العلماء بالوعظ لأنهم ورثة الأنبياء يجب أن يتحملوا كل الأذى والصعاب والتحديات في مهمتهم، وليلتزموا بمنهج الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والآداب الكريمة، وتعظيم شعائر الله، فهي: "...كالقشر بالنسبة للشجر ومتى تزغ القشر من الشجر يموت...". ولمزيد من البيان والتوضيح، أشار إلى أن من أهم شعائر الإسلام إفشاء الأمن والسلام، وإظهار التودد، ولو على غير المسلمين مستدلاً بما دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وزعماء قريش كما ورد في كتب السيرة النبوية. وفي الفائدة الرابعة، تناول الشيخ مسألة فضل احترام العلماء، والأولياء الأجلاء. كما تناول مسألة قوله تعالى: (الرحمن على العرش الاستوى) مبيناً وجهة نظره، ومبطلاً آراء خصمه عن هذه القضية، وذلك في الفائدة الخامسة. وفي الفائدة السادسة تناول قضية حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية، وفضل الصلاة عليه من ناحية أخرى. مستدلاً بالآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأشعار.

وأما في الفائدة السابعة، عالج مسألة الإيمان بالرسول عليهم السلام، ثم تحدث عن التقوى ومكانته في الفائدة الثامنة. وأما الفائدة التاسعة، فقد عرض حديثاً طويلاً، واضحاً عن أهمية طلب العلم. وقد خصص الفائدة العاشرة للحديث عن أهمية إفشاء السلام، والأمن فهما أساس الاستقرار، والتقدم، مبيناً في ذلك، فضل احترام الكبار. كما تناول آداب الأكل في الفائدة الحادية عشر بالبيان والتوضيح. وفي الفائدة الثانية عشر تحدث عن آداب دخول المنازل كما حث الإسلام عنه. وفي الفائدة الثالثة عشر تناول الشيخ مسألة الصلاة، والصيام، والمحافضة على الفروج، وطاعة الزوج بين الفتيات المؤمنات، مبيناً أنه كل من حفظت ذلك تدخل جنة ربها. وأما الفائدة الرابعة عشر فقد تناول قضية

حسن إسلام المرء، وحثّ الفيان، والفتيات، والكبار، والصغار على ترك ما لا يعينهم، وألاً يكثرُوا من النوم، وأن يتجنوا اليمين الفاجر، وألاً يكثرُوا المزاح، وأن يتركوا الجدال، فقال: "...اتركوا فضول الكلام، والطعام، وفضول النوم، لأن أكثر ما يفقر الناس كثرة النوم، فالنوم دواء، فإذا كثر فقد صار داء...واتركوا الجدال ولو كنتم محقين...".^{٣٣}.

وأما الفائدة الخامسة عشر، فقد خصصه الشيخ للحديث عن أهمية السخاء، والجود والكرم. كما تناول أهمية الوقت في الفائدة السادسة عشر. وتطرق إلى الحديث عن برِّ الوالدين واحترامهم، وعدم عقوبتهم كي ينال الإنسان سعادة الدارين، كما تناول مسألة استخدام السبحة عند الأذكار، مبطلاً زعم خصومه. وحثّ الآباء من إرسال أبنائهم إلى مدارس النصرى- حسب اعتقاده- وحثّ على التمسك بالتعليم الإسلامي، العربي فقط- دون غيرها. وتواصل بالحديث عن أهمية الطب النبوي. ثم كرّس الفائدة الثامنة عشر لنصيحة السيدات بما ينفعهم في الدنيا والآخرة. ثم تحدث عن التقوى مرة أخرى في الفائدة التاسعة عشر مستدلاً بالأدلة النقلية، والعقلية. وفي الفائدة العشرون تناول مسألة أهمية العلم النافع، وحثّ على الاجتهاد في طلبه، لأنه يرفع الإنسان إلى القمة.

بعد هذا الحديث المفصل عن تلك المسائل التي إذا قرأها الصبيان- وغير الصبيان- قراءة جيدة، وفهموا مضمونها فهماً دقيقاً، واستخدموها في حياتهم اليومية، فإنهم سيصبحون مثلاً أعلى في الآداب، والأخلاق الكريمة، مما يجعلهم يسعدون بحياتهم الدنيوية، والأخروية. ثم تواصل بتقديم هدية كبرى، وتحفة عظي للطلاب، وهي بمثابة ملخص لما تقدم في تلك الفوائد العشر، كاحترام الأساتذة، العلماء، والنسك الأجلاء وطاعتهم، وحضور حلقاتهم التعليمية. كما تناول في النقطة الأخيرة نصيحة للأولاد المشايخ الذين يرثون آباءهم بعد وفاتهم بالنسب كأبناء الملوك، فيرى أنه شيء خاطئ فيجب على الأبناء بذلوا الجهد الجهد، ويطلبوا العلوم الشرعية، ويفقهوا الدين قبل أن يتأهلوا لمثل هذه المناصب والمراتب.

ثانياً: دراسة تحليلية لصور من أساليب الكتاب

وفي هذا الصدد، سيتطرق الباحث إلى دراسة قيم أسلوبية يثري بها هذا الكتاب، والذي يستحسن أن يلقى نظرة فاحصة في مضمونه بغية إخراج تلك العناصر الفنية التي استوظفها الكاتب في كتابته، ومنها ما يلي:

١- الاستشهاد والاحتجاج بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة:

الشاهد في الاصطلاح قول عربي (شعراً أو نثراً) قيل في عصر الاحتجاج يورد للاحتجاج به على قول، أو رأي، أو قاعدة. والحجة ما دلّ على صحة دعوي، وقيل الحجة والدليل واحداً. فمن اطلع في كتاب الآداب والأخلاق الكريمة يتضح له جلياً بأن الكاتب قد كثّر من الاستشهاد والاحتجاج بآيات الذكر الحكيم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لإثبات رأيه، لأنه يجد في ذلك حجة دامغة، ويرد على خصومه، فحينما أراد أن يثبت أهمية قول الحق استشهد بقوله تعالى: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم...)، وحينما تحدث عن أهمية الوعظ والارشاد استشهد بقوله تعالى: (أفمن ضرب عنكم الذكر صفحاً إن كنتم قوماً مسرفين). ولكي يتلطف الواعظ بالأدب، لأن الأدب وتعظيم شعائر الله هما أساس هذا الدين مستدلاً بقوله عزّ وجلّ (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب).

وحينما تناول مسألة الآداب والأخلاق الكريمة في مستهل الكتاب استشهد بقوله صلى الله عليه وسلم: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق...). وعندما تناول حواراً عن مسألة التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم استشهد بقوله: (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم).

٢- الاستشهاد بالشعر:

وأما الاستشهاد بالشعر فقد حظي بحظ وافر في هذا الكتاب، تحوي كل صفحة من صفحاتها بيتاً أو أبيات من شعر بعض الشعراء البارزين الذين عاشوا في العصور القديمة، وخلفوا تاريخاً مجيداً، وأثراً يشار إليه بالبنان أمثال الخطيئة، والإمام الشافعي، واليوسفيري، كما يستشهد بأشعار الشيخ إبراهيم إنياس حيناً، والشيخ أبو بكر المسكين حيناً آخر. فحينما أراد أن يثبت أهمية تعلم الآداب الكريمة منذ الصغر استشهد بقول الشاعر:

باتت تمزق أثوابي وتضربني *** أبعدَ شبيبي تبغي مني الأدبا

ثم استشهد بقول الشاعر:

مَنْ الإله على العباد كثيرة*** وأجلهن نجابة الأولاد
أثباتاً لأهمية تربية الأبناء ليكونوا قرة عين للأباء، وسنداً للمجتمع، والوطن بصفة عامة. وعندما تناول فضل الرسول
صلى الله عليه وسلم، والصلاة عليه استشهد بقول الشاعر:

محمد بشر لا كالبشر*** بل هو كالياقوت بين الحجر

كما استشهد بقول شيخ الإسلام:

حضرة طه قبل تكوين المكان*** وله عمر طويل قبل تقدير الزمان
وحينما أراد أن يثبت أهمية طلب العلم، ومكانته في بناء الأمة، وتقدمها في مختلف المجالات استدلّ بقول الشاعر:

جَهَلتَ ولم تدر بأنك لاتدري*** ومَنْ لي بأن تدري بأنك لا تدري

واستشهد بقول الشاعر:

لا يَأْمَنَنَّ على النساء أخ أخا*** ما في الرجال على النساء أمين

إن الأمين ولو تكلف جهده*** لا بد إن من نظرة سيخون

استشهاداً في منع الدخول لبيوت الآخرين في الأوقات الثلاثة إلا بعد الاستئذان أي من قبل صلوات الفجر، وفي وقت
القيلول، ومن بعد صلاة العشاء، وأما البالغ فلا يدخل إلا بعد الاستئذان ولو من غير هذه الأوقات مستشهاداً بأية من
القرآن ليثبت المسألة.

واستشهد بقول الشيخ أبو بكر المسكين البرناوي حينما تحدث عن أهمية إفشاء السلام في الإسلام قائلاً:

تُعْشِرَت مكارم الإنس*** وجعل التسعة في الجفان

جملة القول أن الكاتب استشهد بأربعين بيتاً من شعر القدامى مما زاد من قيمة مضمون الكتاب، وتيسير فهمه.

٣- الاستشهاد بالأمثال:

الحكم والأمثال فن بياني يقرب المراد إلى العقول، ويثبت المعاني في النفوس لأجل إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وتقريب المحسوس إلى المعقول، واكتساب صفة الشيوخ. ولهذا تسامى هذا اللون البديع في الأدب العربي. وأصبح حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وحمل بين ثناياه جوانب شتى من التراث الفكري والاجتماعي. وغرضه التنويه على العواقب المحموددة والمذمومة في حالة التعرض للأسباب المؤدية إلى تلك العواقب. ولذلك فقد استخدم الشيخ غنيمي في كتابه هذا بعض الأمثال والحكم للأغراض المذكورة منها على سبيل المثال:

- "...ابتسم ولو كان القلب يقطر دماً..."
- "...الأجر لا تنقصه الإجارة..."
- "...إحذر عدوك ألف مرة واحذر صديقك ألف مرة..."
- "...السخي ولو زلّ لا يسقط..."
- "...الوقت سيف إن لم تقطعه يقطعك..."
- "...رأس مال المؤمن وقته..."
- "...الناس أربعة نفر عالم يعلم أنه عالم وذا هاد فاستهدوه، وعالم لا يعرف أنه عالم وذا نائم فايقظوه، وجاهل يعلم أنه جاهل وذا مسترشد فأرشده، وجاهل يجهل أنه جاهل وذا شيطان فارفصوه..."^٤

٤- استخدام السجع:

ومن الصور الفنية الجميلة في نص الكتاب "الأسجاع" فقد استخدم الشيخ هذه الصورة البلاغية في كتابه بعدد كبير. والسجع من أهم خصائص النثر العربي الجوهري، وقد يثري وجوده إذا اجتمع فيه عناصر التناسب النثرية الضرورية الأربعة وهي: السجع، والتجنيس، والموازنة، والازدواج. وإذا اجتمعت هذه المكونات الأربعة كلها، كان السجع قائدها تحقق التناسب الكامل، والتناغم العالي الرفيع بين أجزاء الكلام المنتور في نظام الفقرات، والجمل، والفواصل، والكلمات. وقد حاول الشيخ محاولة قيمة في استخدام هذه الظاهرة البلاغية.

الخاتمة:

مما سبق محاولة متواضع قام بها الباحث لدراسة فن النثر لدى الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي. فقد لاحظ الباحث أن لهذا الأديب عدداً لا يستهان بها من المؤلفات النثرية، ومنها كتاب " الآداب والأخلاق الكريمة" الذي تناول الكاتب فيه تلك الآداب والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المسلمون ولا سيما الصبيان، فحث الآباء والأمهات على أن يعلموا صبيانهم من صغرهم لأن " التعليم في الصغر كالنقش على الحجر". وفي نهاية الدراسة توصل الباحث من النتائج إلى ما يلي:

- ١- لقد أدلى الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي بدللته في فن النثر فألف عدداً لا يستهان به من المؤلفات النثرية في مختلف الفنون المعرفية كالفقه، والتوحيد، والطب النبوي، والتجويد وغيرها.
- ٢- ومن أبرز مؤلفاته النثرية المطبوعة كتاب " الآداب والأخلاق الكريمة" الذي يقع في إثنان وسبعين (٧٢) صفحة، يحتوي على عشرين فائدة، تناول في كل فائدة الآداب والأخلاق الطيبة الإسلامية التي ينبغي أن يتحل بها صبيان المسلمين "...لأن المرء يبلغ بأخلاقه الحسنة ما لا يبلغه القائم والصائم ومن لم يتعلمها في صغره لا يقدر أن يطبقها في كبره" ثم أردفها برسالتين وقصيدتين جميلتين. والكتاب مطبوع طبع للمرة الثالثة عام إحدى وعشرين وأربع مئة وألف هجرية.
- ٣- إمتاز بكثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة استدلالاً لما أراد المؤلف إيصاله إلى القراء.
- ٤- كثرة الاستشهاد بأشعار القدامى أمثال الخطيب، والإمام الشافعي، والبوصيري، كما يستشهد بأشعار الشيخ إبراهيم إنياس حيناً، والشيخ أبوبكر المسكين حيناً آخر.

٥- الاستشهاد بالحكم والأمثال بغرض التنويه على العواقب المحمودة والمذمومة في حالة التعرض للأسباب المؤدية إلى تلك العواقب.

٦- كثرة استخدام الأسجاع- الموسيقى النثرية- مما زاد من قيمة النص فخلق ذلك التناغم العالي الرفيع، والتناسب الكامل، فأحسن نظام الفقرات، والجمل، والفواصل والكلمات.

الهوامش والمراجع:

- ^١ هو الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي من مشاهير علماء مدينة ميدغري. صاحب مؤلفات عدة في مختلف الفنون المعرفية. وبفضل الله وكرمه لا يزال على قيد الحياة.
- ^٢ ميدغو، محمد الحاج. ديوان حدائق ذات بهجة للشيخ أبي بكر غنيمي البرناوي (دراسة أدبية تحليلية) جامعة عثمان بن فودي، صكتو، نيجيريا، بحث قديم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، ص: ١١٩-١٢٠، ١٤٣٣ هجرية.
- ^٣ غلادنتي، شيخو أحمد. حركة اللغة العربية وأدائها في نيجيريا. الطبعة الثانية، دار المعارف القاهرة مصر. ص: ١٢٩، ١٤١٤ هجرية.
- ^٤ الماحي، عبد الرحمن عمر. تشاد من الاستعمار إلى الاستقلال (١٨٩٤-١٩٦٠م)، الهيئة المصرية العامة لكتاب القاهرة مصر، ص: ١٨، ١٩٧٥ م.
- ^٥ أنظر: مدني فضل، محمد. الأبعاد الحضارية للغة العربية في الممالك الإسلامية. دار المعارف القاهرة مصر. ص: ١٠. بدون تاريخ.
- ^٦ Palmer, Sir Richmond> Borno Sahara and Sudanese Memoirs. University Press New York.P.87. 1970
- ^٧ بلو، محمد (أمير المؤمنين، السلطان). إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرر. وتنغ لندن ص: ١٩٩، ١٩٥٧ م.
- ^٨ Palmer. Ibid. P. 199 ترجمة الباحث
- ^٩ الوثائق التاريخية باللغة الكانورية.
- ^{١٠} Biver, A.D.H. Hisket. The Arabic Literature of Nigeria to 1804. P. 40, 1971.
- ^{١١} Palmer. Ibid. P.121
- ^{١٢} Ibid. P. 56
- ^{١٣} Ibid. P.84-91

^١ الغرغري، يوسف بن عبد القادر. (الإمام). شرح قصيدة نسيم الصبا، مخطوط مكتبة الباحث الخصوصية بعبي المجمع السكني برابرا الجديدة بمدينة دماثرو، نيجيريا، ص: ٦، بدون تاريخ. كذلك يمكن الحصول على نسخة منها في مركز الدراسات عبر الصحراء بجامعة ميدغري، ولاية برنو، نيجيريا.

^١ الحسيني، إبراهيم صالح (الشيخ). الأبعاد التاريخية للإسلام في إفريقيا والدعوة الإسلامية الطرح الجديد. مطبعة المكتبة الشمال، رقم ٤٨، شارع (طُنْ دَاغُو) كنو- نيجيريا. ص: ١٢، ١٩٩٢م

^١ غنيمي، أبوبكر (الشيخ). الآداب والأخلاق الكريمة. الطبعة الثالثة. ص: ٦٧. ١٤٢١ هجرية .

^١ المرجع نفسه، والصفحة نفسها .

^١ المرجع نفسه والصفحة نفسها .

^١ المرجع نفسه والصفحة نفسها .

^٢ المرجع نفسه والصفحة نفسها .

^٢ غنيمي، أبوبكر (الشيخ). ديوان حدائق ذات بهجة (مخطوطة). ص. ١٤٧ :

^٢ غنيمي، أبوبكر (الشيخ)- الآداب والأخلاق الكريمة- ص ٥ :

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٣ :

^٢ الجرجاني، ص: ١١٥، ١٩٨٧م .

^٢ غنيمي، المصدر السابق. ص: ٥، ١٥، ١٧، ٢٧، ٢٥،